مجلة عصور الجديدة– مصنفة ج- المجلد 9– العدد 3- (نوفمبر) 1441هـ/2019م
ردمد EISSN 2600–6324 / ISSN 2170-1636 / الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

مخطوط "نبذة من سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران" لمؤلف مجهول- دراسة وتحقيق- الجزء الثاني.

Manuscript "Overview of the Biography of Mohamed Fatih Thaghr Oran" by an Unknown Author – Study and Investigation- Part 2

د. أمين كرطالي Kartali amine
دكتوراه علوم- تاريخ وسيط- (الجزائر)
kartaliamine@gmail.com

صص224- 250

تاريخ استقبال المقال: 2019/09/10 تاريخ المراجعة: 2019/09/16 تاريخ القبول: 2019/09/21

الملخص بالعربية: هذا العمل هو الجزء الثاني من نشر وتحقيق لمخطوطةٍ موجودةٍ بالمكتبة الوطنية تحت رقم 5022، عنْونَها صاحبها هكذا: "نُبذة من سيرة الباي محمّد فاتح ثغر وهران"تتطرّق إلى سيرة الباي محمّد الكبير وجهوده في تحرير مدينة وهران وأهمّ مشاريعه ومُنجزاته السياسيّة والعسكريّة والحضاريّة، وقد بيّنتُ فيه أنّ المخطوط هو مجرّدُ ترجمةٍ من الفرنسيّة إلى العربيّة لدراسة جورجيوس (A. Gorguos) حول الباي محمّد الكبير، والصادرة بالمجلّة الإفريقيّة في العددين الأوّل سنة 1856م، والعدد الثاني 1857م. وقد قُمت أثناء نشْر هذا المخطوط بالتّعليق عليه في الهامش ومُقارنة ما فيه من معلومات مع ما هو موجود في المصادر التاريخيّة التي اعتمد عليها A. Gorguos.

الكلمات المفتاحية: الباي؛ محمد الكبير؛ وهران؛ فليتة؛ جورجيوس؛ الثّغر الجماني؛ ابن سحنون الرّاشدي، الإصبانيول؛ الجزائر؛ إبراهيم التازي؛ مستغانم.

***ABSTRACT*:** This work is the second part of the publication and realization of a manuscript in the French National Library under number 5022; in which the author addresses the biography of the great Bey Mohamed, his efforts for liberating the city of Oran from the Spanish occupation, and his most important political, military and civilisational achievements. It shows that the manuscript is just a translation from French to Arabic for the study of Georgios A. Gorguos about the great Bey Mohamed, published in the African Journal of 1856 and 1857. The manuscript deals with the life of the man and his work, and the opening of the city of Oran. I defined the manuscript, explained its tasks, compared its content with what is contained in historical sources, and commented on what needs to be commented on.

Keywords: Al-Bey Mohammed Al-Kabeer; Oran; Fleeta; Georgios; Thaghr el Jomani; Ibn Sahnoun Al-Rashedi, Espanol; Algeria; Ibrahim Tazi; Mostaganem.

الصفحة الأولى:

الصفحة الأخيرة:

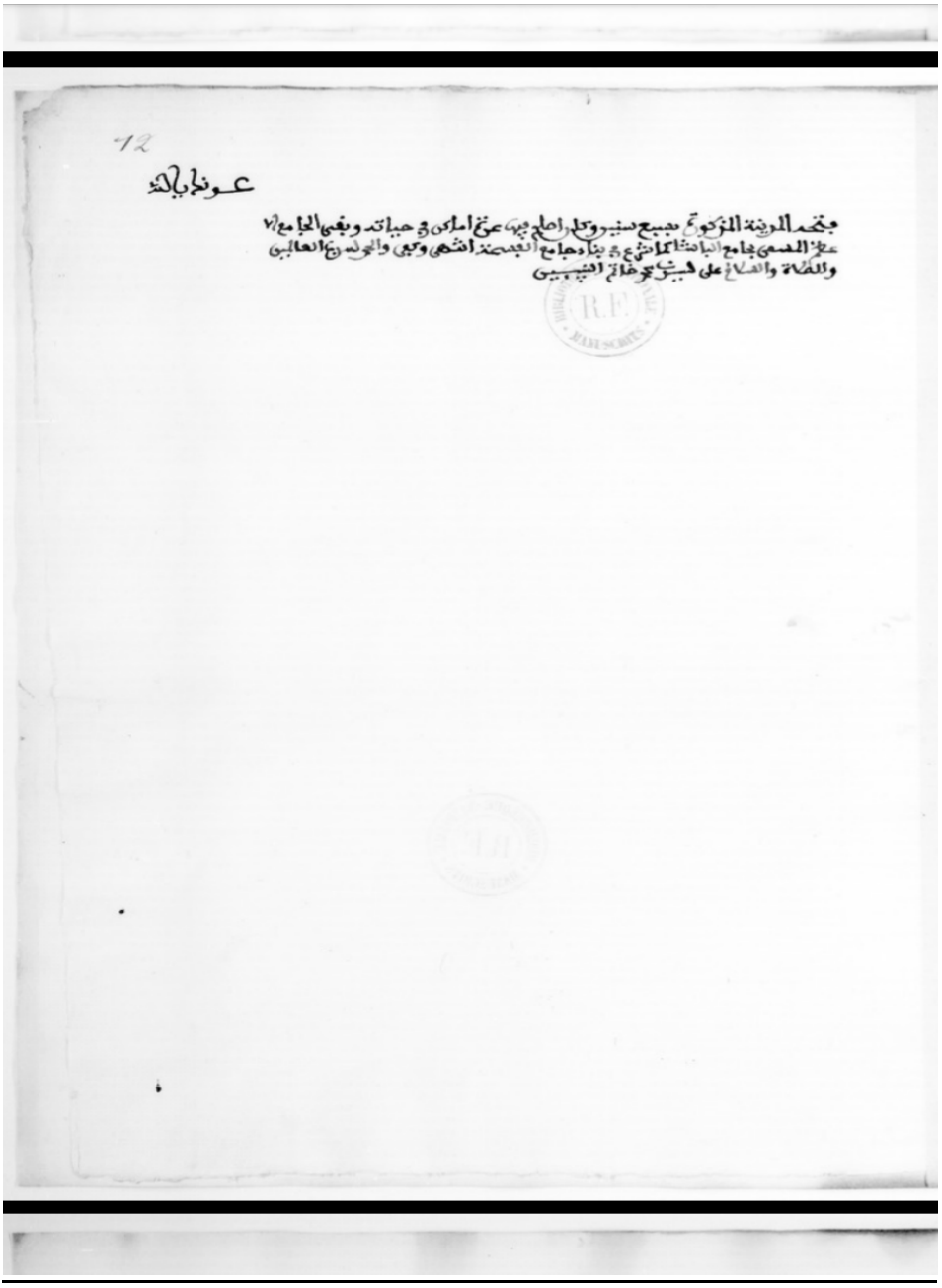

السّبب في أخذ الاصبانيول وهران المرّة الأولى: ولنذكر الآن ما بقي من سيرة الباي محمّد مع الاصبانيول، وذلك أنّ جنس الاصبانيول لمّا أطرد بقية المسلمين الذين تملّكوا في الأندلس، ووقف المسلمون المخيمون بشاطئ البحر من بر الجزائر إلى أقصى الشطوط الغربية على عمارة مراكب قرصان بقصد الغارة عليهم وعلى جنس البورطقان –قاف ثلاثية-، ثمّ لما عاين هاذان الجنسان من المَسلمين التعدي والنهب، ظهر لهما في الحركة إليهم فتوجّهوا نحوهم في عمارة مراكب، وقاتلوهم في مراسي البحْر المُحيط، ومراسي البحر الأوسط، بالأماكن التي كانوا يلتجؤون إليها، وفي سنة 1401 مسيحية توجه احد ميرانطة البحر من جنس البورطقال إلى مدينة وهران فقاتل أهلها ولمْ يحصل على طائل في مراده[1].

ثمّ بعد خمسة أعوام حرك ديقواد كوردوا إلى مرسى الكبير[2] في وهران وتملك بها في دولة السُّلطانة المسيحية جان ذي صبانيا[3] وفي سنة 1509 مسيحية المطابقة لسنة أربعة عشرون وتسعمائة هجرية قدم الكاردينال قريمينياس[4] أيضا إلى وهران بعمارة غزيرة، وجيش يشتمل على خمسة عشر ألف مقاتل، وكان كبير الجيش يسمى دون بييدرو دو نفار[5] فاستولى على المدينة دون مشقة وأدنى كلفة، لأنَّ أحد اليهود والمسلمين الذين كانوا مكلّفين بقبض مداخل الغرب للسُّلطان قلموس الزناتي هم الذين سلّموا بيده المدينة[6]، فما كان إلّا قليلا وإذا بيد الإصبانيول امتدّت على بر وهران، واتّسع حُكمه به.

ثمّ إنّ بعض الأعراش الذين بجوارها أذعنوا لطاعة تلك الأمراء التي ظهرت عندهم، وقد مدّوهم بمدد الجيش من عندهم لتمهيد المعاندين والعُصاة الذين أرادوا الفتنة[7]، وفي أقرب مدّة صار البعض منهم يدفع للاصبانيول الغرامة والبعض متَّفقٌ معه ورفيقا إليه من وهران إلى جبل راشد، وقد بلغت محلته مرارا إلى غريس وجبل هوارة من بلد بني شقران وغيرهم أهل تلك الناحية. وفي إحْدى حركاته هدَمَ الرِّباط المُسمَّى كارط في نواحي معسكر وأسر أهله[8] وأمّا أهل القلعة وبلد بني راشد ولباطة وسرات وملاتة وتليلة[9]كانوا يُقدُمون إلى وهران وقتئذ لبيع الحُبوب، وجميع مشايخ بلادهم. فظهر للاصبانيول الإقامة بها والاستيلاء على جميع الغرب الأوسط.

وإنّ غالبَ الفوز العظيم الذي حصل له هو الخلاف الذي كان واقعا بين زناتة تلمسان حتى أشرفوا على الهلاك بسبب القتال، والفتنة التي حلّت بينهم.

قدوم التّرك للجزائر وتلمسان خير الدّين في الجزائر وعرّوج في تلمسان: لكن الاصبانيول حصلت له ضرورة بقُدوم عرّوج وأخيه خير الدين وقتئذ للاستقرار بالجزائر[10]، فوقف هذان الأخوان على تأسيس حُكم التُّرك الذي انتشر من تونس إلى إيالة الغرب في مدة قليلة، فالتزم الاصبانيول وقتئذ الدّفع عن رعية وهران التي كان استولى عليها هذا. وأمّا العرب أعداءُ النَّصَارى فإنّهم كانوا يظنُّون في التُّرك المسلمين أن يمنعوهم من عدوّهم، ويشْعُرون بهم، ولم يعْلَموا ما كان مخبَّئا لهم من المظالم الشَّديدة[11].

ثمّ لمّا استولى عروج على الجزائر كان أحد أُمراء زناتة الذي زعم ظلم عمّه المسمى أبو حمو[12] بعث إلى عروج يُحرِّضُه على القدوم إليه، فتوجه نحوه بسُرعة، ولمّا سَمِع أبو حمو بقدومه هرب، وفُتحت أبوابُ مدينة تلمسان لدخول عروج، وكان أمير زناتة المتقدم ذكره يُرتجي منه الخير والنُّصْرة فإذا به ظهرت منه الخديعة بقتل سبعة أمراء من زناتة أشرّ/5ظ/ قِتْلة، وحاز سلطنة تلمسان لنفسه كما قتل سبعين رجلا من ذرية عبد الواد، وما يزيد على الألف من أعيان تلمسان[13]. وأمّا الاصبنيول فإنّه وقف على نصرة أبي حمو المذكور الذي كان في حزبه، وتحت حمايته، ولذلك أرْسل جيشه إلى حصار القلعة التي كان الاسكندر خليفة عرُّوج يُدافع عنهامع أخيه إسحاق، فطال ما قاتل أهل القلعة، ولمّا عجزوا عن دفع الاصبانيول استولى عليها، وقتَل الأخوين إسْحاق والاسكندر، فعند ذلك تقدّم جيش الاصبانيول إلى تلمسان وحصرها، فالتزم عروج الفرار منها، والتزم الاصبانيول في طلبه إلى أن ظَفر به وقتله في جبل بني موسى على طريق وهران[14].

ولمّا تحكَّم أبو حمو على تلمسان دام على المحبة والنَّصيحة للاصبانيول، وحين تُوفيَّ أبو حمو تولّى مكانه أبو سرحان المسعود، وكان أخوه الأمير عبد الله الذي يطول شرحه هنا التجأ إلى وهران مشتغلا بعزْل المسعود من الحكم، ولمّا أيس من نُصْرة الاصبانيول وانقطع رجاءُه منهم طلب الاعانة خُفيةً من خير الدّين فوجد خيرُ الدين فرصةً في ذلك ليخلف ثأرَ أخيه عروج، وليمتدَّ حكمُه، فحرّك إلى المغرب، ولمّا علم

عبد الله بحركته خرج من وهران خفية، واستولى خير الدين على القلعة وتلمسان حينا ووليَ عبد الله السّلطنة.

جهود العثمانيّين لتحرير وهران قبل الباي محمّد الكبير: فهذا سبب انتشار حُكْم التُّرك وإسْقاط دولة الاصبانيول، فما كان إلا قليلا وإذا بتلمسان خرجت من حكم أُمرائها الذين ضَعُف حالُهم، ودَخلت في حِزْب الجزائر، فحينئذ تضايق الاصبانيول، واكتفى بأسوار مدينة وهران، لتُرادف محالات باشاوات التُّرك عليه لصولتهم واستيلائهم على البر. ثمّ إنّ بجاية كانت في ذلك الوقت لا زالت بيد الاصبانيول، وقد اطرده منها قُرصان رايس صالح[15] الذي كان هو الوالي الثَّاني بعد خير الدين، ولمّا حاز هذا الفوزَ ازداد قريحةً ونشاطْ في طرد الاصبانيول من بقيَّةِ الإقْليم، وطلب من السُّلطان المعونة على ذلك، لأنّه كان في حزبه فأمدّه بأربعين سفينة وجيشٍ من التُّرك زعم المؤرخون أنه كان في عدد قدره ستة آلاف مُقاتل. وأما صاحب التاريخ المسمى مارمول[16] فإنه اختصر بثلاثة آلاف تركي فقط زعم قُدُومها مع أمر رايس المذكور إلى قتال وهران لكنَّه مات بالوباء قبل أن يبلغ المقصود، وقد تولّى مكانه حسن قورصو[17]، وكان مُبغِضًا للاصبانيول كبُغْض رايس صالح، فأراد الامتثال بسيرة من كان قبله وأرسل السفائن ساعة وصولها إلى مرسى الكبير في وهران، وهو توجَّه في البر بمحلة تشْتمل على ثلاثة آلاف مُقاتل من عسكر الوُجاق فيما ذكره المؤرخ مارمول، وأربعة عشر ألف مقاتل من أهل البلد وثلاثين ألفا من العرب، ويُحتمل أنّ في هذا العدد مبالغةٌ. فشرَع في حصر وهران برا وبحرا، وجعل مِتْرسين؛ أحدهما مقابلا للباب المسمى باب تلمسان، فتفوّهت ثقوب المدافع بالنيران على المنحصرين، ومنهم كذلك.

فبينما النّارُ موقدةٌ، وإذا بسُلطان إسلامبول أمر سفائنهبالتعرض إلى أندري دوريا[18] الذي كان واقفًا على الفساد والنَّهب في الجزائر التي بناحية القراية، ولمّا ذهبت نُصرة السّفائن عليه، حصل له الإياس من أخْذِ المدينة ورجع للجزائر.

ثمَّ بعد حَسن قورصو تولّى حسن بن خير الدين باشة[19] في الجزائر رابعا وطلب قتال وهران وقد شرع التُّرك في تشْديد الحصار على وهران في شهر ماي سنة ثلاثة وستين وخمسمائة وألف مسيحية، فأخذ الباشا حسن بن خير الدين البرج المسمى برج المرسى الأعلى، وهرب النَّصارى منه، وهدمه الباشا المذكور في ليلة السَّبت خمسة

عشر رمضان عام سبعين وتسعمائة هجرية[20]، ولمّا فاز الفوز الأول حصل له النَّشاط وهجم على البرج المسمى سان ميشيل خمس مرات مترادفَةٍ دفع فيها القتالُ الشَّديد حتى التزم أهل البرج التَّسْليم على شروطٍ، ثمَّ هَجم التُّرك على سائر الأماكن دُفعةً واحدة، هذا وإن كان حسن باشا وجيشُه قاتلوا بقوَّة عظيمة، وشجاعةٍ كاملة فلم يحصلوا على/6و/طائل في مرادهم.

وفي اليوم الخامس من جوان هجموا الهجمة الأخيرة التي هي أشدُّ قتالا من الأولى، ولم يبْلغوا المُراد، فعند ذلك سمع الباشا حسن بقدوم أندري دوريا المتقدم ذكره(فراغ قدر كلمة) دي ماندور بعمارتي مراكب مُسْرعة فأيِس النَّصر وتخلف عن الرباط والحصر[21].

وقد ذكر الجُماني في تاريخه وقوع حركة أخرى إلى مدينةِ وهْران تحت أمْر إبراهيم خوجة[22] فجعل متارس ونصب المدفع على كُديةٍ هناك تسمى مايدة مطلّة على وهران، ورمى على البلد منها لكنّ الجُماني لم يتكلم عن تلك الوقعة. كما أن مولاي إسماعيل صاحب إيالة المغرب أراد التَّجربة في حصر وهران فما لبث غير قليل وإذا به رأى في نفسه قِصَر اليد، وقد زعم النَّاس أنّه لمّا أمر المحلَّة بالرَّحِيل قال للأقربين منه: "وهران كلفعة[23] تحت صخرة يا ويح من أضر بها"، كما أنّ الاصبانيول كان يدْفعُ عن نفْسه مرارا ومع ذلك فمهما وجد التركُ فرصةً قدموا إليه، وكان بايات الغرب دائما يتمرّدون عليه بالغرب فإذا خاب سعْيُهم أحيانا يجعلون غضبهم على الأعراش التي كانت تركنُ إلى الاصابانيول لمصالحهم.

هذا وإنَّ سواحل مدينة وهران كانت لم تفرغ من القتال مدة زمانية، ولم يعلم الناس بذلك حتى قيل أن أهل عسّة وهران كانوا لا يقدرون على الخروج من حصونهم إلّا بالقتال، ثمّ أن الباي شعبان والباي بوشلاغم[24]هما اللذان كانا مُلازِمَين لقتال وهران، ورعيُّتها أكثر من غيرهم فأما شعبان توفي في معركة طويلة جرت وقتئذ وأمّا بوشلاغم فقد صادف بختا بنُصرة أخذ فيها الاصبانيول ونزع من يديه كلّ من كان احتوى عليه أوَّل مرة، وممّا ذكره الحلْفاوي عن موت شعبان ما نصّه: "كان شعبان اشتهر عن أقرانه بايات الغرب بقتال الاصبانيول السّاكن بعمالته، وأشهر وقعة هي الوقعة التي مات بها وذلك في سنة ثمانية وتسعين وألف هجرية المطابقة

لسنة 1272 مسيحية، وظهر منه في آخر معركاته شجاعةً وثباتًا ما يتجاوز عن شجاعة عنتر بن شداد"[25].

وقد ذكر أحدُ الحاضرين بها أنه لما اختلطت العساكرُ مع بعضها تكسَّرت سيفان بيد شعبان، وأظهر غاية الجُهد الذي ليس له مزيد، وكان وقتئذ لابسًا أفخَر ملابسه، راكبًا على أحد عِتاق خيله، وكان قبل ظهورِ العدوّ واقفا على ترتيب صفوف العسْكر، ويُنادي بأعلى صوته "تعالوا ! اليومَ المشهدُ وتحزموا للقتال. وكان يسْعى بكلامه فيما يُحرِّك قريحتهم ويزيد في نشاطهم، ولمّا ظهر العدو بصولة وجسارة عظيمةٍ في عدد قدرُه ثمانية آلاف مُشاة، ونحو الألف فارس، وكان مُشاةُ المسْلمين نحوُ نصف عدد العدوّ غير أن خيَّالتهم أكثر منه. ومن جُمْلة ما وقع في ذلك اليوم أنَّ العسكر كان مربوطا بجبل ليثْبُت في القتال بمكانه لئلا يهْرب، ثم التقى الفريقان، وشرعَ كلُّ واحد منهما في القتال، فهجم شعبان مع الاصبايحية[26] هجمة الأسود، وشتَّت في صَدْمته شمل خيالة الاصبانيول، ثم التفت إلى مُشاة العدوّ، وكان عسكر التُّرك في أثره فما كان إلا قليلا واذا بالمشاة والخيالة اختلطوا مع العدوّ، وصار قتالا شديدا، وإنْ كان البَارود لم يتكلَّم في ذلك اليوم إلا قليلا، فإنّ السَّيفَ كان لم يُغْمد فيه وانهزم الاصبنيول هزيمةً شديدة، مات ألف ومائة نفس من عسكره، كما مات شعبان في ذلك اليوم. وإنَّ الذي قتله عربيٌّ من بني عامر فصلب النّصارى رأْسه على باب مدينة وهران، وكلَّما جنَّ اللَّيل أوقدوا فوقه منارة، وبعد مدّة أعطاه الاصبنيول للمسلمين الذين وقفوا على دفنه مع جيشه[27].

تحرير وهران الأوّل ثم استعادة الإسبانيين لها: هذا ولم يسترح الاصبانيول بعد مدة قليلة من موت شعبان، وإذا بوهران صارت كالنَّيشان للبايات يتداولون عليها بالقتال، وفي سنة سبعة عشر ومائة وألف هجرية مطابقة لسنة 1705 مسيحية أوجدَ الباشا حسن خوجة محلَّة جديدة، ليخلِف ثَأر شَعبان، لكنْ دركته الوفات[28] أيضا، ولم يبلُغ المراد. وفي سنة ثمانية عشر ومائة وألف أواخر شعبان تولى محمّد خوجة بن علي بن محمّد المعروف بباكتاش، عند التُّرك مكانه واستقل بتكمِيل حركة المحلّة التي كان أسَّسها، وكان قبله للتوجه إلى الغرب، وكانت تلك الجهة وقتئذ على يد الباي/6ظ/ مصطفى الملقب بوشلاغم والمعروف عند الاصبانيول بقيطيلوس هكذا ذُكر في

تواريخهم، وكانت قرية مازونة[28] هي قاعدة العمالة الغربية، فاشتغل حكم بوشلاغم إلى أم العساكر، ليكون نظره قريبا من الأعراش ليضبطهم ونبّه على الجهاد، فاجتمع قُرب وهران جيش غزير. ثمّ إنّ باكتاش المذكور بعث عسكر التُّرك من الجزائر في نحو الخمسين وطاف، وجعل إمرتهم على يد صهره وخليفته أُزن حسن، وكُلَّما اجتازت هذه المحلة على موضع ازداد جيشها، وفي اليوم الرابع عشر من ربيع الأوّل سنة تسع عشر ومائة وألف هجريّة مطابقة لسنة 1707 وسنة 1708 م بدأ الحصارُ لها وهجم جماعة منهم على برج العيون، فسلم في اليوم العاشر من جمادى الثاني وفتحوا برج الجبل في اليوم السّابع والعشرين من الشّهر كما أخذ برج الزهرة[29] في اليوم الخامس من شعبان، وفي اليوم الثامن عشر منه أبْطلت نارُ برجِ اليهود محاصله. في اليوم السّادس والعشرين من شوال تفتحت أبواب مدينة وهران، ثمّ بعد أيام برج الأحمر وبرج مرسى الكبير سهل أمرهما امتثالا لما تقدم.

ثمّ إن الباي بوشلاغم لما أظهر غاية الاجتهاد والشَّجاعة وحُسْن التَّدبير مدة حركته صار له ذلك من جملة الأسباب لنُصْرته، ولذلك تفضّل عليه الباشا باكتاش بإضافة وهران إلى رعيَّة الغرب جزاءً لحُسن خِصلته. ثمّ كانت هذه المدينة أفخر مُدن العمالة، صارت مستقرّ البايات فمكث فيها بوشلاغم مدة خمسة وعشرين سنة متلذذا بالهناء الذي حصل له ونصرته وأمّا الاصبانيول فإنه كان مهما تفكّرَ ضياع ما كان بين يديه تأسّف عليه حسرة وندامة، وبعد تخلّصه من الأمور المهمّة التي أشْغَلت باله في نواحي أوربا على الرُّجوع إليها ثانيا ليتولى عليها، وفي اليوم الخامس عشر من جوان سنة 1732م[30]، خرجتْ عمارة في شطوط صبانية تحت أمر الكونط دمونطراد[31] وفاز بسرعة على وهران فوزا كاملا، فدَخلها في أوَّل جولييت بعد قتال ضعيف، فحينئذ هرب منها بوشلاغم عاجلا، وامتلأ قلبُه غيظًا على فِراق تلك الحصون المشيَّدة التي ساعدته الأيام من الظَّفر بها بعد المُكْث فيها مدة ربع قرن، فالتجأ إلى مستغانم لأنَّه شقَّ عليْه البُعد منها أكثر من ذلك، ثمّ لم يبق فلبث إلَّا قليلا وإذا به تحرك غضبه، وجدَّد القتال لكنه لم يجد في قتاله غير الغرور، وقبل وفاته طلب من الباشا باكتاش المدد بالمعونة فأرسل إليه ولده مع عسكر الترك وفي الحين قام بهم هذا الباي الذي أدركه الهرم إلى القتال، وفي افتتاح الحرب وقعت معركات[32]

شديدةٌ لكنّ الاصبانيول كان ازداد تحصُّنا عمّا كان فيه فالتزم بوشلاغم ترك القِتال، وأيِس من فتح المدينة فعند ذلك اتّسع الاصبانيول بها، ومكَث ما يزيد على الستّين سنة في الهناء، حتى أننا ما رأينا في التّواريخ وقْعة مهمة بتلك المدة. لكنْ يُحتَمل أنَّ الاصابنيول كان واقفا على الرّباط خشْية الغوازي والنهب لأن العرب الذين بجواره لم يتركوه في راحة.

ولمّا حصل عقد الصلح بين باشة الجزاير وصاحب مدينة مادريد[32] التي هي قاعدة مملكة إصبانيا كان التُّرك يخفون العداوة، ومن المعلوم أنَّ مُكْث النَّصارى في وسطِ الإقليم كان معرَّة لهم، ولذلك كانوا يحْتالون على نزعه مع أنهم في قيْد من جهة الشُّروط خائفيين لحُوق المعائب بالجزائر. هذا وإنّ الباشاوات مهما تكلّموا مع الاصبانيول في شأن الصُّلح كانوا يتجنَّبون دائما من ذكْر الغرب في الشُّروط بزعْمهم أنّ باياتهم خارجون عن حُكْمهم فيما يتعلق بأمر الاصبانيول. ولذلك كان البايات يختارون لأنفسهم الوقت المناسب للقتال والباشاوات متأخِّرون عن المدد لمعونتهم، مترقبين بالصّبر حدوث ساعةٍ سعيدة يمكن لهم فيها تمزيق الشروط التي بينهم وبين صبانيا، ليجتهدوا ظاهرا في معونة باياتهم ويُلْزموا الاصبانيول بالخروج من وسط الاقليم.

وفي مدّة الستّين سنة التي مكث فيها الاصبانيول بها في وهران، ازداد عددًا في تشييد الأبراج والحصون[33] للدَّفع عن نفسه، وكان جعلَ حفيرًا تحت الأرض، وطرقًا مسقَّفة لتبليغ المدد إلى أماكن عديدة خفية دون مخافة، وكانت /7و/ مدينة وهران في أوائل القرن الثالث عشر إحْدى المُدن العظام التي يُمكن لها مدافعة الحصار ولو كان من ...[34] ذي شدة وبأس ومعرفة ثمّ إنّ الجماني ذكر بلطافة عدد جميع حُصونها في الزّمن الذي توجّه الباي محمّد لحصرها لأنّه حاضرا معه، ولهذا يلزم أن تعتبر ما نصّه صاحب هذا التاريخ في ذلك الشان منها أنّه كتب أسماء الحصون والأبراج ونحو ذلك بالقلم العربي إلا أنها بلغة الاصبانيول، وها نحن نذكر الأسماء التي كانت تسمى بها وقتيذ في سنة خمسة عشر ومايتين وألف هجرية المطابقة لسنة 1790 مسيحية.

أبراج مدينة وهران أثناء الاحتلال الاسباني:

- أولا برج مرجاجوا المسمّى بلغة الاصبانيول سانطاكروز، وهو بالكُدية المطلّة على وهران يظهر على مسافة بعيدة من جهة البحر، وقد زعم العرب أن النّصارى لمّا عزموا على بناء هذا البرج حصل لهم اهتمام بصعود الماء لتحضير العجنة، وذلك لعلوّه مع فقد آلة الصُّعود وقتئذ؛ ثمّ إن أحد مشايخ حميان[35] أمدَّهم بجميع القِرَب التي بعَرْشِهِ لحمْل الماء، فمُلِئت وحُملَت على الكتف، وقد كان في هذا البرج ثلاثون مدفعا.

- ثانيا بُرج اليهود المسمَّى بلُغة الاصبانيول صان قري قوري[36] وهو مقابلٌ للغرب فيه ثلاثون مدفعا[37].

- ثالثا البرج المسمى لا نبوط دو لامونة[38]: لم يذكره صاحب التاريخ بالعربيَّة فهذا البرج كان أسفل برج اليهودي على ساحل البحر وفيه أربعة مدافع.

- رابعا سانجدكُ[39]الذي لم يكن فيه غير هذا الاسم.

- خامسا طبانة صغيرة فيها مدفعٌ ما كان يُسمِّيها الجُماني كاباريرة.

- سادسا لاكانباني[40]: معناها النّاقوس قُبَالة القَصَبة فيه عشْر مدافع.

- سابعا سانير[41] وهو حصن بإزاء القصبة فيه أربع مدافع.

- ثامنا سانتيزابيل المسمى بلغة الاصبانيول سانتا ايزبيلة، وهو حصن أمام القصَبة يمنع العدو من الوصول إلى المدينة، وفيه ستُّ مدافع.

- تاسعا برجٌ صغير لِرباط القصبة مثل الأربعة حصون الآخرة كتب اسمَه الجُماني هكذا لواردیا ديليونس[42] ظهر لنا معنى هذا اللّفظة أنها عسَّة الأسود وفيه ست مدافع أيضا.

- العاشر حصن كونكتد[43]يعني مجاز فيه أربعة مدافع.

- الحادي عشر حصن كلينة[44] يعني بلغة الاصبانيول حطب النار مقابلا للباب، فيه أربع مدافع.

- الثاني عشر البرج الأحمر المسمّى بلغة الاصبانيول أوجاس كاراس[45]، وهذا البُرج كان أعظم أبراج المدينة متَّصلا من بناء إلى بناء حتى يبلغ باب وهران وإنه مُقابل البحر، وقد قال الجماني الذي يحتمل المبالغة في كلامه أنّ هذا البرج فيه ثلاثمائة مدفع وأمّا بُرج اليهود المُتقدّم ذكرُه كان مُقابلا له من جهة الغرب.

- الثّالث عشر برج الفرنسيس المسمّى بلغة الاصبانيول.
سان ميقيل- ق بثلاثة- وهذا البرج كان خلف البرج الأحمر فيه اثنا عشر مِدفعا.
- الرابع عشر ساتريز من جهة البحر فيها اثنا عشر مدفعا.
- الخامس عشر حصنٌ بداخل البلد يُسَمّى بالوفيارط[46]، ودليل معنى هذه اللفظة طريق السُّور وفيه عشرون مدفعا.
- السادس عشر حصن سانيكوله: فوق الباب المسمَّى بباب تلمسان فيه ستُّ مدافع.
- السّابع عشر سان جوزاف[47] فوق أرض فيه ثلاث مدافع.
- الثامن عشر سانطان[48]قُبالة سانطرين فيه تسع مدافع.
- التاسع عشر برج الجديد المسمّى بلغة الاصبانيول سانطاندري[49] مقابلا للبلد من جهة الوطا فيه ماية مدفع، ويحتمل في ذلك مبالغة وله طبانة أمامه فيها ثلاث مدافع، وبين برج العيون الآتي ذكرُه طبانة فيها ستة عشر مدفعا تُسمَّى بالطبّانة الجديدة.
- العشرون برج صغير يسمى سانلمي[50] فيه ست مدافع خلف تلك الطبانة الاخرى.
- الإحدى والعشرون برج العيون المسمَّى بلغة الاصبانيول سان فيليب قبلة البلد فيه ثمانون مدفعا هكذا زعم مؤلفّ[51].
- الثّاني والعشرون سان شارل[52] خلفه فيه سبع مدافع.
- الثالث والعشرين برج بونبيقة[53]، المسمى بلغة الاصبانيول سانفي دينا، قِبلة وهران مُقابلا لبرُج العيون فيه مدافع، وتحته حِصْن كالصَّومعة فيه ثلاث مدافع.
- الرابع والعشرون برج العين، وهو برج صغير تحت بونيقة، أبدل العرب اسمه ببرج بني زروال، وذلك بعد الوقعة التي سنذكرها/ 7ش/ فيما بعد.
- الخامس والعشرون برج علي هيئة الصومعة، يسمى طوذاكورد[54]، فيه خمسة عشر مدفعا.
- السّادس والعشرون برج المرْسى، وهو مرسى الكبير الذي شيّدوه لحفظ المرْسى للدفع عن البلد لأنَّه بعيدٌ عنها نحو الثَّلاثة أَميال في الجهة الغربية خلف جبل مرجاجو، فيه ثلاثمائة مدفع.

هكذا ذكره الجُماني، وقد يوجد في شرح الحلفاوي كلامٌ على أبراج وهران ما نصُّه أنَّ برج المرسى هو أعظم أبراج وهران، وكان غاية عرض الطَّريق المبْلغة إليه نحو الثلاثة أذرع بالأكثر، وأمامه طبانة لمنع العدو عن الوصول إلى بابه، الله وفّقَ أبو الحسن المريني[55] على بنائها، كما أمر ببناء طبانة البرج الأحمر، ولمّا استولى الاصبنيول على المرسى الكبير جاءت طائفة كبيرةٌ من اليهود، وعمَّرت هناك لكن بعد خمسة وستين سنة حملَها الاصبانيول إلى القورنة[56] وهي مدينة في بر الايطالية وجعل مكانها بمرسى الكبير من وهران طايفة من جنسه، وردت من صبانية. هذا ما وجدناه في شرح الحلفاوي، ثمّ إنّ التّفصيل المتقدّم ذكره في شأن الحصون والأبراج يدلّ حقيقة على حصن تلك البلاد، ولها قُدرة على دفع امحال العرب التي ليست لها إقامة كاملة بالحروب ولا معرفة بمداخل الحصن، خصوصا إذا كان الرِّباط بجيش كافي.

هذا وإن جميع الأبراج العظام كان محيطا بها الحُفَر الغامقة وعلى حافتيه زرب متين بربط الحديد، ويُحْتمل أن الاصبانيول ما ترك هؤلاء الحُصون إلا بسبب الوقعة العظيمة التي أصابَت دُوريا حين توجّه الباي نحو المدينة، فهذا الذي ألزم الاصبانيول بانضمام جيوشه إلى بلاده وتضييع جميع ما كان استولى عليه في برِّ افريقية ليَحْفظ ما سواهم من ذلك. ولمّا شاعت هذه الوقعة حينا في إقليم الجزائر وجد الباي محمّد فرصةً في عمله وبمجرَّد افتتاح سنة خمسة ومائتين وألف هجريّة المطابقة لسنة 1790 وسنة 1791 مسيحية كَتَب للباشا يطلب منه الاذن بالحَركة إلى قتال الاصبانيول بوهران.

الزّلزال الذي أصاب مدينة وهران سنة 1790م: وكان السّبب في شروع هذا القتال بسُرعة هي المصيبة العُظْمى التي أصابت وهران وقتئذ بالزلزلة التي خربت جُلَّ البلاد، ومات بها خلقٌ كثيرٌ، وسنذْكر ما نصَّه الجُماني في ذلك، وهو أنه في ليلة الجمعة التي هي صبيحة اليوم الأوّل من صفر في السّاعة الواحدة بعد نصف الليل خَرّبت زلزلت شديدةٌ مُفْزعة على حين غفلة، ودامت دقائق ثم سكنت نحو السَّاعة، وجاءت مرَّات مُترادفة قريبة من بعضها فاستيقظ أهل المدينة من نومهم فازعين وهم يموجون في التردد من مكان إلى مكان لتخليص أنفسهم من رجفها المحيط بهم، ولمّا تزعزعت الديّار من أساسها، وصارت يَميل بعضها وتسقط على رؤوسهم بضعضعة عظيمة

مات بها ما ينيف على ثلاثة آلاف نفس تحت الرّدم، ومات حاكم وهران قيفيرنور إصبانية بها مع كافّة عياله بتلك الوقعة الربّانية، وأما المتخلِّصون من الهلاك التجئوا إلى فُسْحة كانت هناك بوسط البلد عُراةً حفاةً أكثرهم مصابًا بالجراحات؛ فمنهم من تكسّر ومنهم من تشدّخ ومنهم من أدمى. ولمّا لاح الفَجْر وتركوا تلك المواطن المحْزنة والتجئوا للأماكن الخالية من البناء بين الأبراج، وكانت الزلازل تترادف سوايع[57] وتُحرك فَزَعهم فتسمعُ لأصواتِ النّاس نداءً، ولسُقوط الديَّار دويٌّ عظيم.

وإنَّ هذه الزلزلة أصابت جميع العمالة. لكن شدّة قوّتها في مدينة وهران، وقد شاهد النّاس وقتئذ عيونا غارت في الأرض بعد أن كانت سائلة، ولمّا نبعت بعد أيّام خرج منها ماء معَكَّر كلون الدم غير أنّ الأسوار والأبراج ثبتت مكانها، وما أصابها غير قليل الفساد[57].

ولمّا خرَّبت الزلازل المتقدِّم ذكرُها، كان الباي محمّد وقتئذ بأمِّ العساكر، وقد كانت مُصيبتها في تلك المدينة أعظم من غيرها، وفي صبيحة الغد من وقوعها شاع خبر مهمّات الوقائع العظام، واشتغل بالُ الناس بذلك حتى صاروا يقولون لبعضهم هل ترى أي مصيبة حلت /8و/ بمدينة وهران، وممّا ذكره المؤلف أنه قال: "بينما كنّا جالسين نتحدّث في هذا الشأن، إذ نطق محمّد ابن ابراهيم صهر الباي محمّد وقال عسى أن تكون وهران خسفت بأهلها إن شاء الله، فأجبْته قائلا يُمكن غدا إنْ شاء الله يبلغنا الخبر السّعيد، وكان الأمر كذلك فحقق الله أمله، ولم يخيِّب ظنَّه إذْ أتاه في الغد خبرُ سقوط مدينة وهران من أعْلاها إلى أسفلها".

حركة الباي محمّد الكبير نحو وهران بقصد تحريرها: ثمّ إنّ البَاي محمّد أرْسل في الحين أحد شواشهُ[58] ليقفَ على صِحَّة الخبر، ولمّا عاد بتحققه خرج الباي محمّد من أم العساكر حالا بأربعة أيام بعد وقوع الزلزلة فبلغ وهران في مدّة يومين بعد أن حرَّض جميع رعيته على الاجتماع للقتال، وكان المرابطون أطلقوا ألسنتهم بالأقوال القويمة، واشتغلوا بتشييع كلام التواريخ، وتفْسير المُراد في الأحلامية التي يرونها الناس في منامهم، في النَّصر على العدوِّ، والظفر به كما اشتغل أصحاب التّواريخ باستنباط كلام مُركَّب على حروف أ ب ج د ا ذ[59] استنجر الانسان استخرج منه تاريخ سنة 1205هـ، لكنَّ معناه بالظّاهر يدل على هزيمة الاصبانيول ونُصْرة الباي محمّد بن

عصمان، ولذلك زعم أصْحاب التَّاريخ أنَّ هذه السّنة المذكورة جعلها الله وقتا معلوما لهلاك الاصبانيول، وخروجه من مدينة وهران، وكان يظهر للنَّاس أنّ ما أصاب الاصبانيول هو من غضب الله عليهم حقيقة؛ فبهذا السبب ثبتوا أعني العرَب في القتال، وكانوا يوقدوا النّار برؤوس الجبال مدة أيام فرحا منهم وسرورا.

هذا وقد اختلط العرب بالعسكر الذي كان أرْسله الباي محمّد من أم العساكر حتى قيل أنّه كان عدد ما اجتمع في مدّة سبعة أيّام خمسون ألف مقاتل، ثمّ قسم هذا الجيش على ثلاثة أقسام، فجعل القسم الوافي على يده وجعل جيش تلمسان وفليتة وجيش الأعراش المجاورة لهما على يد ولده عثمان. وكما جعل جيش مازونة ومستغانم والقلعة وكافّة الأعراش الشرقيَّة على يد محمّد بن إبراهيم[60].

وفي أوائل صفر بدأ الهجوم والنّهب في ساحة المدينة، ثمّ في اليوم الثَّالث منه وقعت الصَّدمة على يد أسوارها دفعة واحدة بجميع الجيش، وصار قتالٌ شديدٌ في برج العين، حصلت فيه النُّصرة للعرب بأخذه لكن نزعه الاصبانيول من يدهم بسبب تفريطهم، وذلك أنَّ الباي كان أَمرهم بالخروج من البرج لقطع خشب آلةِ المِدفع حسبما هو مذكور في هذا التاريخ، ولذلك وجد الاصبانيول فرصةً في الهجوم على البرج لقليل بقية الجيش فيه فأخذه.

هذا وإن بني زروال من الظهرة[61] أصابتهم مضرَّة شديدة في هذا القتال بجراحة ما يزيد على المائة شخصٍ، وعددٍ بليغ من القتلى، ولذلك سمَّى هذا البرج بُرج بني زروال، وكانت هذه الوقعة في يوم الخميس، ويُحتمل أنها غير مفيدة للمُحاصَرين لأن الدائرَة كانت عليهم.

وفي اليوم الثاني الذي هو يوم الجمعة، وقعت معركة أخرى تماثل الوقعة الأولى إلا أنّهم مسكوا فيها أسيرين من العدوّ، وفي يوم السّبت نصب الباي مدافعه على الجبل المسمى عند العرب مايدة، وأرسل على المدينة الكُوَر والبومبة[62]، لكنَّ ذلك غير مفيد وقد فعل يومئذ لغما تحت برج مرجاجو ولمّا أكملوا عمله عجزوا عن إبراز منفعته، وتحيَّر في إيقاده، ولمّا تنبّه الاصبانيول في الغد واستيقظ من غفلته، خرج غفلةً وهدَم اللُّغْم ثمّ أخذ جميع البارود الذي كان بداخله، فهذا الثَّبات الظَّاهر من الاصبانيول الذي لم يخطر ببال أحد أفزع قلوب النّاس، وأرعب جميع الجيوش الذين

كانوا في حزب الباي محمّد، حتى الباي بنفسه فهم وأنّ مثل ذلك الحصن المنيع لا يُمْلك بكثرة الجيوش الصَّارخة دون فائدة مع عدم المعرفة بشؤون القتال[63] وإنما يستحق له مدافع كبيرة ومهازر عظيمة وطبجية ماهرون كما ينبغي له رجال عارفون، بحفير اللُّغم وعساكر منظّمة.

هذا وإنّ خزنة البارود كانت مخصوصة[64] ومع ذلك إنَّ عسَّة المدينة التي كانوا يظنون بها أنّها هلكت بالزلازل فقد كانت التجأت إلى الحصون وعمّرتها /8ظ/ وكان المدد يبلغها من صبانيا فلما عاين الباي تلك الموانع ظهر له أنّ الصواب في الاشتغال والتأخّر عن المدينة ليتأهب تأهبا أعظم مما كان عليه سابقا ولذا انتقل إلى أمّ العساكر، واشتغل حينا بإقامة أمره، وكان يستحقّ له الزّمن الطّويل للاستعداد. وكذلك الاصبانيول فإنّه يجد اتّساعا في مدّة ذلك الوقت ليُنشئ حصونا محيطة بالبلد.

إعتماد الباي على الطّلبة: ثمّ ظهر للباي الاستيلاء على جبل المايدة المذكور المشْرف على وهران شرقا ومرسى الكبير غربا، ويجعل فيه عسّة ليمنع الاصبانيول من الوُصول إليه فظهر له أن يجْعل هناك طائفة مسبَّلين[65] لانتظار أحوال وهران من أعلى الجبل، والهُجوم على أحوازها بالنّهب والفساد لتشويش الاصبانيول حتى لم يتركوا له راحةً، وممّا استنبطه الباي محمّد أنّه أرسل إلى جميع طلبة العمالة وأمَرهم بالاجتماع في جبل المايدة فوقع من ذلك هرج بين الطّلبة، ولمّا عاين الباي منهم ذلك اختار ستّة من الطّلبة الذين كانوا يميلون إليه، ويقربون منه فألبَسهم أفْخر الملابس، وأرْسلهم واسطةً لخمد نار الفتنة راكبين في زيٍّ عظيم، وقد ملأَ جيوبَهم بالدَّنانير ليجولون في الدّشور والقرى، ويجلبوا الطُّلبا إليهم من أقرانهم، فثبَّت هذا الاستنباط وما كان إلا قليلا وإذا بهؤلاء الستّة قدموا بأربعمائة طالبٍ فعمِر بهم السَّهل المُسمّى إيفري، وهو المكان الذي عيَّنه لنُزول هذه الطائفة التي رتّب منها محلّة باختراع جديد.

وكان وقتئذ في مازونة أحد الطّلبة المحترمين بين أقرانه غاية، وهو الشّيخ محمّد بن علي الشّريف[66] فكتب له الباي طالبا منه الاجتهاد في جلب النّاس لهذا المُراد، وتحريضهم إليه فرضيَ الشّيخ بذلك، وتوجّه إلى أمّ العساكر بمائتين من الطّلبة غير الأوّلين مع أولاده الاثنين، وهما الشيخ سيدي المهاني والسيد محمّد، ولمّا وصلوا إلى

الباي قابلهم أحسن قبول وأمرهم بالذّهاب إلى إيفري المتقدّم، لكن ما بلغوا هذا المحل إلا بكلفة لوقوع القتال بينهم وبين شرذمة من الاصابنيول والعرب الذين في حزبه.

هذا وقد صار يتزايد عدد الطّلبة يوما بعد يوم وتلاحقت عيالاتٌ[67] خيّمت بإيفري لأنّ الباي قال من خيّم بعياله في جبل المايدة فهو محررٌ من الغرامة[68]، وقد أمرَ بفتْح دُروس العلم في ذلك الجبل بحيث لا تكون في مكان غيره، ثمّ شرع في تقْسيم الطّلبة على طوائف، ورتّبهم وُجاقات يعني في كلّ وجاق خمسة وعشرين شخص، فكان نهاية ذلك في شهر رجب بلغ ستون وجاق، وفي آخر شعبان بلغ المائة.

هذا وقد كان الباي انتخب رجلين من الأعيان في ابتداء الأمر ليتصرف في محلة الطّلبة؛ وهما الشيخ محمّد بن عبد الله الجلالي، والسيّد الطاهر بن حوة[69] قاضي أمّ العساكر وهذا العالم كان مشهورا بالعلم عارفا بالنّظم والنّثر، وقد وُجد من بعض نظمه في تاريخ الجماني الذي كان تلقاه منه الشيخ أحمد بن سحنون حين تفضّل عليه بهديَّة أحد تأليفه المعروف بعقود المخازن. وأمّا الأول الشيخ محمّد بن عبد الله فأصله من ذريّة بوجليل من الطبقة الخامسة، ولذلك كان يُسمَّى الجلاني وكان اكتسب في أم العساكر قدرا وجاها لتدريسه، وفاز بعدد علومه وحُسْن تربيته. ثمّ إنّ هذا الفقيه الشيخ محمّد بن عبد الله بدأ قراءة العلم في مدينة فاس على مشايخ عديدة جليلة جلّة مشهورين ثمّ رجع إلى أم العساكر وشرع في تدريس العلم، وبعد سنين قدم إلى الحجاز، وزار بيت الله الحرام وفي مدّة سفره كان يحضر مجالس العلوم بكلّ مدينة دخلها في بر المشرق، وقد تمهّر في بعض العلوم التي كانت مشكلة عليه حتّى استنار عقله، وكان مجتهدا في البحث والمناظرة مع المشايخ في المسائل الدّقيقة/9و/ ولمّا رجع من الحجّ إلى أم العساكر اشتغل بالتدريس ثانيا، واجتمع عليه خلق كثير منهم الشيخ سيدي أحمد بن سحنون صاحب الجماني.

ثمّ إنّ الباي محمّد هو الذي قدم أيضا هذين الفقيهين يعني الفقيه السيد المهاني المتقدم ذكره في الورقة الماضية، والفقيه السيّد محمّد بن عبد الله على كافّة طلبة إيفري وقبل وقوفه على تقديمهما كان لم يُفرِّط في شأن الطّلبة، ولم يهمل ما كان يسرُّهم ويزيد في قريحتهم للتعلُّم، وكان ينفق على طوائف الطَّلبة من خاصَّة ماله

ويُمدُّهم بالكِسْوة وما يحتاجون إليه من آلة الحرب وقد كان واقفا على بناء ثلاثة مطاحن في مسرقين[70] على مسافة ثلاثة أميال من محل منزلهم، مختصة لهم. وكل طائفة كان يمدّها بخمسة وستين صاعا من القمح في الشهر لمعاشهم، وكما كان يُمدهم في غالب الأوقات بالمعونة والهدايا، فبذلك طابت معيشَتُهم، ولولا مصائب الأخطار التي كانوا يتلقونها من شدائد القتال لكانت أحوالهم مرضيّة على أحسن حال.

هذا وإن سبب القتال الأول الذي وقع بينهم وبين الاصبانيول هو فرار الثَّلاثة الأشخاص من وهران الذين قدم أحدهم إلى الطلبة في إيفري وأخبرهم بفرار رفقائه الاثنين فاجتهد إذ ذاك الطلبة في البحث على الاثنين، ومن الاتفاق أن الاصبانيول كان وقتئذ بعث أناسًا في أثر الهاربين فالتقى الجمعان ووقع القتال الشّديد بين الفريقين، فما كان إلا قليلا إذا بالرَّصاص والبارود انقضى من يد الطّلبة حتى آل أمرهم إلى أسوأ حال، وصاروا في ضيق شديد، وكان العدوّ يترامى عليهم بشدّة ويهجُم عليهم بالغضب فالتزم الطّلبة الدفع بالحجر، ولمّا بلغ هذا الخبر المشوم الذي حلّ بالطّلبة إلى القاضي السيّد الطّاهر عزم على نُصْرتهم، وبمجرد وصوله إليهم اختلطوا مع العدوّ واشتدّ القتال فأُصيبَ القاضي السيد الطّاهر ساعة ...[71] بندقته على العدو برصاصة كسَرت ذراعه، ودخلت في بطنه. وقد كانت جراحته مهلكة فحمل من ميدان المعركة، وتوفيَّ بعد يومين ليلة جمادى الأولى.

هذا وإنّ نار الفتنة لم تطف بهذه المصيبة التي حلّت بالقاضي بل إنّها لم تزل موقدة الليل كلّه مع نزول المطر الغزير وموت الكثير منهم، وهمْ في غاية الثَّبات وقد كان القتال يترادف من يوم هذه الوقعة حتى أشرف الاصبانيول على العجز والفشل، لأنه كان ملتزمَ الخروج من حصونه لرَعْي مواشيه، فتضايق حاله ولم يبق له من الأرض غيرَ الفُسْحة التي بين حصونه والبحْر وما بقي كله تمكّن منه الطّلبة وعددٌ بليغ من النّاس الواقفين على النّهب، الذين قدموا معهم وما كان يرى الاصبانيول غير الكمائن والمكائد، وكلَّما حرس نفسه وتأخر إلى البلد ازداد هجومُ المقاتلين عليه.

ولنترك الآن ما كان وقع بين الطّلبة واصبنيول بوهران من القتال، ونذكر تأهب الباي محمّد للحرب فأوّل ما سعى به في عمله أنه اشترى مدافع ومهارز من جنس الانقليز مع عدّة من الكور والبومبة ونحو ذلك، وقد اكترى مراكب من النّصارى، ولزّم

نفسه بضمانتها من أخطار البحْر لأنّ أجناس النّصارى الذين بساحل البحْر الأوسط كانوا وقتئذ يتعرّضون لجميع المراكب التي يجدونها مرسوقة لإقامة الحرب وذاهبة إلى الشّطوط البربريّة فيأخذونها غنيمة ثمّ أرسل قاضي المحلّة وكاتبه أحمد بن هطّال إلى إيالة المغرب وبأيديهما هدايا للسّلطان طالبا منه الأذن في شراء جميع ما يتعلق بشؤون الحرب من بلاده، ثمّ إنّ الكاتب بن هطّال المذكور توجّه إلى جبل طارق لشراء البارود فاشترى نحو المائتين وخمسين قنطارا، وبينما كان يسعى في حمله إذ بالمراكب المتقدّم ذكرها بلغت بوسق عظيم من آلة الحرب/9ظ/.

كما أنّ زواوة بعثوا البارود الكثير من عملهم فعند ذلك اشتغل بخدمة القراريط لحمل المدفع وجر أثقاله، وقد وقف على جلب الخشب واللوح من جميع غِيَب[72] العمالة وأحضر مِن مستغانم والجزائر وغيرهما مئات من الخدّامين منهم الحدادون والنجّارون والبارودجية[73] قدم كُلُّهم إلى أمّ العساكر بطمع في الأجرة البالغة كما أنّ أهل فيقيق[74] الذين زعم النّاس وأنّهم ماهرون بمعرفة حفير اللّغم أرسلوا إليه مائة رجل من أبناء وطنهم ففرح الباي محمّد بهم غاية الفرح ظنّا منه أنّه يُستفاد بعملهم فقسم على جميعهم حينا الكِسْوة الكاملة، وأنْعم عليهم بألف ومائتين ريالا ثمّ أرسلهم إلى إيفري وسعى في جلب طايفة طبجية[75] من أم العساكر، فكان هؤلاء الطبجيُّة يَخْرجون كلّ يوم لتعلُّم حرب المدفع حتّى تمهّروا في ذلك.

وقد كانت الطّرقُ وقتئذ من أم العساكر إلى وهران ضيقة مُحْدَوْدَبةٌ لا تحمل مجاز المدافع الكبيرة، فوقف على توْسيعها وإصلاحها إلى أن صارت مبلغةَ إلى نِصف حدُورة الجبل الملاصق لجبل المائدة بسهولةٍ، وهنالك تفرَّقت على جهتين أحدهُما تمرُّ إلى نواحي مرسى الكبير والثانية إلى جبل المائدة، فمكثت هذه الخدمات مدّة خمسةَ أشْهُر وما أمْكن للباي الخروج من أم العساكر لقتال الاصبانيول إلا في اليوم الثّامن من رجب فعند ذلك أراد الاشتهار في خروجه، ولهذا كانت سكان البلد كلها واقفة على ساق واحد في صبيحة يوم خروجه، ولمّا شرعت النّقلة في الحركة للمسير تكلّم الطَّبْل والنَّقير دفعةً واحدةً، واجتهد النَّاس في جرّ أثْقال المدَافع من أم العساكر إلى عقبة خدّة[76] التي هي على مسافة ثلاثة أميال من البَلد، وقد كان الباي أعتق ففي ذلك اليوم جميع المساجين، ووقع النّداء العظيم بارتفاع أصْوات العباد فرحا واستبشارا،

ثمّ وقفوا في عقبة خدّة المذكورة وهناك أمر الباي بضيافة تلك الجيوش العديدة، فعند ذلك شرعوا في السّير.

وكان تَزَعْزُع قراريط المدافع وميلها ميمنة وميسرة أفسد بعضها، فتعطَّلوا في إصلاحها يومين، ثمّ لمّا فرغوا من العمل جدّوا في السير إلى هبرة ووصلوا في ...[77] إلى سيق فوضعوا النّقلة بالبرج هناك وضعا وقتيا.

شكاية الإسبانيّين الباي محمّد الكبير لدى باشا الجزائر: ولمّا سمع الاصبانيول بحركة الباي محمّد إليه بعث جماعة للجزائر بقصد الملامة، فحينئذ أخبر باشا الجزائر محمّد بن عصمان خليفة الباي محمّد بمراد الاصبانيول في ترك وهران وتسْليمها وما يُبْقون تحت أيديهم على شاطئ البحر غير مرسى الكبير مثل محلّة ترسيةٍ المراكب بقصد العمارة التجارية، فأجاب الباي محمّد باشة الجزائر مشيرا عليه بأنّ الأصلح عدم قبول هذا الشّرط، وأكّد عليه أن يُلْزم الاصبانيول بترك البلاد وشطوطها تركا كليّا، ولمّا علم الاصبانيول بهذا الخبر طَلب المُهادنة لوقت بينما يُخبر سُلطان صْبانية بمراد الباشا ويرد عليه جوابَه، فرضي بذلك باشة الجزائر وبعث سيارا إلى سيق ليأمر الباي بالكفِّ عن الحركة، كما بعث مكْتوبا إلى الطّلبة المقيمين بإيفري يأمرهم فيه بالكفّ عن القتال إلى اليوم الثاني والعشرين من شعبان، وهو الأمد االمعلوم للمهادنة بينهم.

لكنَّ الباي لمّا خشي حلُول الوِفاق قبْل تأهُّبه الكامل قدم إلى مستغانم لأخذ المدافع الكِبار المنْصُوبة بتلك المدينة وحملها إلى سيق وأمّا رُسلاء الاصبانيول فإنهم ذهبوا إلى مدينة ماديد التي قاعدة مملكة صبانيا ورجعوا للجزائر حينا بجواب يتضمن عدم قَبول الشُّروط المتقدم ذكرها فعند ذلك بدأ القتال، وأوّل من شرع فيه طائفة من الطّلبة /10و/ساعة انقضاء الأمد المعيّن للمهادنة، خلاف كلام الاصبانيول فإنّه زعم وقوع القتال بيوم قبل حلول الأجل المعهود، وكان أوّل هجوم الطّلبة على برج الولد الصّغير ثمّ بعد أيّام في افتتاح شهر رمضان تكرر هجومتهم على هذا البرج المذكور فخرج الاصبانيول منه إلى لقائهم، وبعد القتال الشَّديد الذي مات فيه كبير النّاس التزم الاصبانيول الفرار إلى البرج بسُرعة، واجتهد الطّلبة في أثرهم إلى أن تكلّم البارود بداخل البُرج من الشبارات.

دخول الباي محمّد بن عثمان مدينة وهران: وبتاريخ اليوم الثالث من رمضان رحل الباي محمّد من واد سيق ونزل في تليلات التي هي على مسافة صَبيحةٍ من وهران، ومن تليلات نزَل في مَسولان[78] فمكث هناك ليرتب جيوشه ويعلم مضاربه وفي اليوم الثاني عشر من رمضان توجّهت المحلّة أمام القبَّة الصّاعدة إلى إيفري ومعها جيش غزير من ساير الأعراش الذين لهم رغبة في القتال، وطَمِع في النَّهب، فحلّ الجميع على مسافة تزيد عن رمي المدفع من برج العُيون، ولكثْرة الجُنود كانت تلك البقاع والمهام مغطَّاة بالخلق على رؤية العين وبمجرَّد وصول المدافع إلى ضاية مولاي اسماعيل.

شرع الباي في بناء عدّة متارس وقاية عن رمي الاصبانيول، وأكبرهم المترس الذي كان مقابلا لبرج العيون، وفي اليوم الثاني من شهر شوّال تكلّم البارود من كل ـ مترس دفعة واحدة ثمّ أجابتهم المدينة وأبراجها بضرب شديد خصوصا برج مرجاجو فإنه رمى مائة وستين كورة بومبة وبومبة واحدة وثلاثين كومبرة[79].

هذا وأما من جهة متارس الباي محمّد فإنّه رمى ثلاثمائة كورة وأربع كورات ولمّا شقّ عليه الأمر، ولم يحصل على طائل من مراده شرع في بناء عدّة متارس أُخرٍ غير الأولى ليرمي على برج العيون والبرج الجديد المسمّى عند الاصبانيول بسانطاندري، وفي اليوم السّادس والعشرين من شوال تجدّد القتال مدّة أيّام من غير انفصال إلى اليوم التاسع والعشرين منه، وكان يوما شديدا على الصابنيول لسقوط بومبة واحدة في وهران على بيت من البُيوت العديدة المُدَاسة التي كان جعلها الاصبانيول للوقاية بعد خراب المدينة بالزّلازل، فوقدت بها النار وامتدّت للديار المجاورة لها، وفي ذلك الوقت بنفسه سقطت بومبة ثانية على خزنة البارود المقابلة لبرج العيون، وتفرقت بقوة شديدة مات بها خلق كثيرٌ، فلمّا رأى الباي محمّد النَّار تلْهب في أطراف المدينة وغمَّمت بالدخان المُنتشر على خزنة البارود ركب جوادَه، وأمر بالصَّدمة دُفعةً واحدة ظنّا منه افتتاح المدينة من هول تلك اللحظة، وكان المدفع وقتئذ يَصُبُّ بالردّوبلى كالمطر الغزير، فما كان إلا قليلا وإذا بالحدورات المبلغة إلى المدينة امتلأت بسرعة جيش المسلمين القاصدين الصّعود على الأسوار عندما يرون افتتاح ثغر للنفوذ منه.

هذا وإن جميع الرّبوات العالية كانت مموَّلة ببعض الرُّماة متفرقين يرون الرصاص بالرمي على كل من عاينوه أعلى الأسوار، ومع هذه الصَّدمات الشَّديدة كانت

وهران ثابتة من كل جهة حتى التزم الباي أن يأمر جَيْشه بالرُّجوع. وبينما وقوع ما ذكر مات محمّد بن عصمان باشة الجزاير في اليوم التّاسع من ذي القعدة، وفي اليوم الثاني عَشر منه قدم رسولٌ إلى الباي محمّد مُخبرا بموت الباشا الأول وولاية أبي علي حسن باشة، ووقوع المكالمة بينه وبين المكلَّف بأوامر اصبانية لديه بالجزائر، فقبل الباشا كلامه وفي شهر المحرم الذي هو افتتاح سنة ست مايتين وألف الهجرية المطابقة لسنة 1791 مسيحية وقع الاتفاق على المهادنة وعقد الصّلح وها نحن نذكر الشروط المهمّة التي وقعت في ذلك حسبما نصّ الجماني.

شروط تسليم وهران[80]: الشرط الأول: أن الاصبانيول التزم رد مدينة وهران كما كانت في زمن بوشلاغم فأبراجها المشيدة وقتيذ مع المدافع التي كانت بها وإنها تزيد على المائة/10ظ/.

الشرط الثاني: أن الاصبانيول له أن يهدم كل البناء الذي عمله في وهران بعد أخذها من يد بوشلاغم إن شاء ذلك.

الشرط الثالث: أن الاصبانيول يلتزم بدفع اثني عشر ألف دينار ذهب في كلّ سنة لخزنة الجزائر، مجزّأة في الدّفع بالشّهرين قدرا متساويا.

الشرط الرابع: أنّ كل مركب للاصبنيول حلّ بمرْسى الكبير يدفع خمسة وخمسين ريالا منها أربعون لبيت المال، والخمسة عشر الباقية تُدفع لقائد المرسى.

الشرط الخامس: لا يقبل من مرسى الكبير إلا المراكب الاصبانيول التجارية خلاف مراكب غيره من الأجناس فإنها محرمة الدخول.

الشرط السّادس: أن الاصبانيول له أن يشتري في كلّ سنة ألف حمل من القمح بالسِّعر المعلوم في السّوق، وأن باي العمالة لم يطلب منه شيئا في ذلك، ولا يريد ما هو معين.

هذا وإن خبر الصّلح بلغ إلى الباي في اليوم التاسع عشر من محرم، وبينما كان يترجى انتقال الاصبانيول من المدينة ورد عليه أمر من الجزائر منعه من ترجيه، وصار له سببا في اشتهار صولته بالحروب، وذلك أنه أَمر بالحركة إلى سوماته[81]، وهو عرش كبير بين الجزائر والمديّة. فتوجه إليه، ولمّا علم بقدومه دخل الرعب الشديد في قلوب أهله، وأسْرعوا بالفرار. منهم من التزم الدّخول في الشِّعب الخالية، ومنهم من صعِد

أعلى رؤوس الجبال الشامخة، وأكْثرهم التجأ إلى أعراش القبائل الذين بجوارهم، فنزل الباي محمّد في وسط العرش دون معارض لهم حتى قيل أنه لم يلاقه عدوٌ، وبالجملة فإنه ظفر بفرقة من العرش، وألزمها ما كان يلزم العرش من العقوبة فقتل شطْر الفرقة وأَسر الباقي.

وكان من جملة الأَسارى ما يزيد على التّسعين امرأة، فنهب نحو الألف شاة وعددا من أفراس الخيل والبقر وقطع الشَّجر وحرق الديار حتّى أنّ أهل الجزائر لمّا عاينوا التهاب النّار التي أضاءت بها الجبال علموا ما حلّ بأهل سوماته من العقوبة الشديدة، وخلاف ما نهب من المواشي أنه أخذ حبوبا كثيرة ،كما أنّ العسكر غنم أثاثا كثيرا من كلّ نوع فعند ذلك نزلت محلة الباي (ف)[82] سوماته مدة أيام، ثمّ بعث إلى الأعراش الذين كان[83] التجأ إليهم المنافقون، وأمرهم بالوقوف على طردهم من بلادهم وإلَّا ستحل بهم العقوبة الشديدة كما حلّت بغيرهم، ولمّا سمعوا بذلك قدموا إلى الباي بسُرعة طالبين منه العفو والأمان فحصلت حنانة بقلبه عليهم، وسامحهم غير أنّه وبّخهم جميعا لسعيهم في نُصْرة المفْسدين، وقد جعل عليهم خطيّة قدرها خمسون جوادا قادة وألف بندقة، ومَسك منهم رجالا مَراهين ثمّ رجع إلى معسكر، وقبْل دخوله وهران بمدّة أيام قدم للجزاير فتلقَّاه حسن باشا[84] وقابله أحْسن قبول وتفضّل عليه بدخوله مدينة وهران في حزب ولايته، وأن تكون على اسمه وفي اليوم السّابع عشر من جمادى الثّاني دخل هذا الباي مدينة وهران لصولة في هيئة النّصر.

وهران بعد تحريرها: وقد صارت كرسي عمالته فنزل في البرج الأحمر، وأمر كاتبه حينا أن يخبر الباشا بانتشار حكمه على المدينة، وقد وجّه مع ذلك الكتاب مفاتح ذهب صاغها على قدر مفاتح مدينة وهران انتهى.

هذا وإن أغلب ما ذكرنا منقول من كتاب الجماني، وقد انتهى كلامه عند فتح مدينة وهران ولم نجد في كتب غيرها تفصيل يُفيد بسيرة هذا الباي، ومدّة حكمه. وفي كلام بعضهم أنّ هذا الباي مات في...[85] عند توجهه للجزائر بقصد التّدنيش بعد فتحه المدينة المذكورة بسبع سنين وكان أصلح فيها عدّة أماكن في حياته، وبنى الجامع الأعظم المسمى بجامع الباشا[86] كما شرع في بناء جامع الفسحة[87] انتهى وكفى والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد نا محمّد خاتم النبيين/10ظ/.

الهوامش

1- هنا يوجد خلط كبير في كلام المؤلف حول احتلال مدينة وهران، فالبرتغال احتلّوا مدينة وهران من يوم 14 أوت 1415 إلى عام 1437م في عهد الملك جان الأوّل، ثمّ خضعت وهران لسلطان تونس وتحوّلت إلى ملجأ وملاذٍ للأندلسّيين الذين تمركزوا بها وسيُطروا على إيراداتها، ثمّ استعاد الزيانيّون نفوذهم بها . ثم احتلّها البرتغاليّون من 1471 إلى 1477م في عهد الملك ألفونسو الخامس، Alphonso5، وتمكّن السّكان من طرده البرتغاليّين. وبعد عشرين سنة هاجمها الإسبانيون سنة 1497م بقيادة الدّوق دومدينا سيدونا Sidona، وفشلوا في احتلالها. يحي بوعزيز، ميدنة وهران عبر التاريخ، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع: الجزائر، 2009م، صص38-40.

2 -يقصد دييغو دي كوردوبا ، وهو أوّل حاكم إسباني بمدينة وهران، فأمّا عن احتلال المرسى الكبير فكان على يد الكاردينال خيمينيس الذي جهّزَ حملةً من ماله الخاص، في عهد الملك الإسباني فرديناند، وأعدّ أُسْطُولا مكوّنا من مائة وأربعة وثلاثين سفينة، على متنها خمسة آلاف مُحارب، تحت إمرة الدون رامون دي كاردونا وتعزّزت القوّة العسكريّة بحاميّة أرغونيّة، وتولّى قيادة المدفعيّة ديغودي فيرا بينما تولّى مذكل من بيدرو لوبيز والدّون غونزالو أبورا قيادة الحرس، وقد غادرت الحملة الإسبانية مدينة مالقة يوم 3سبتمبر 1505، ووصل الأسطول يوم 11سبتمبر 1505، وكانت حامية المرسى ضعيفة فلم تتمكّن من ردّ هجومه، وفي 23أكتوبر 1505م سيطر الإسبان على المرسى.

بينما تمّ احتلال مدينة وهران سنة 1509م، ففي ماي من هذه السّنة قاد الجنرال بيدرو نافارو حملة مكوّنة من جيش قوامه15000جندي، ولمّا وصلت العمارة الإسبانية إلى المرسى الكبير، بادر السّكان إلى الاعتصام بالمرتفعات، وفي 17ماي اقتحم الاسبان أبواب مدينة وهران، بمساعدة يهودي إسمه شطورا وأصبحت بذلك كلّ من مدينتي وهران والمرسى الكبير تابعتين للامبراطوريّة الإسبانية، وأسْنَدت مهامَّها إلى الدّون دييغو فيرناندیز دي كوردوبا. ينظر: عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية(1505-1792م)، دار هومة، صص40-54؛ عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضيّة المورسكيين الإسبان، مركز الدراسات والبحوث العثمانية المورسكية، باريس، 1989م؛ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492-1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص95-113؛ يحي بوعزيز، المرجع السّابق، صص41-42.

3- تُوُفيَّت الملكة إيزابيلا في 26 نوفمبر 1504م، وكان من ضِمْن وصاياها أن يتمّ احتلال وهران. أي أنّ احتلال المرسى الكبير كان بعد موت إيزابيلا. يُنظر: المهدي بن شهرة، تاريخ وبرهان بمن حلّ بمدينة وهران، ط1، دار الريحانة: الجزائر، 2007م، ص.121

4-أحد الأساقفة الكاتوليك المتعصّبين ضدّ المسلمين، ولد في قشتالة سنة 1436م، وترقّى في المناصب إلى أن أصبح أمينا لسرّ المملكة 1492م، ثمّ كاهنا لطُليطلة سنة 1495م، ثمّ حاكما حتى وفاة إيزابيلا 1504م، وترأّس محاكم التّفتيش(1506-1516م). وقد تمكّن من احتلال المرسى الكبير ونكّل بالمسلمين. ينظر: أسماء أبلالي، التحرشات الإسبانيّة على سواحل الجزائر خلال القرن (10هـ/16م)، مجلّة روافد للبحوث والدّراسات، جامعة غرداية، العدد 2، 2017، ص36.

5- هو قائد إسباني تمكّن من احتلال وهران سنة 1509م، وعجز عن احتلال الجزائر. أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص145.---6 - كان اليهودي اسمه سطورة أو أشطورة يعمل مكّاسا اصله من إشبيلية، وأمّا العربي الذي كان يعمل معه فاسمه عيسى بن العربي والقايد بن قانص، وعند الراشدي أن اليهودي إسمه الزّاوي بن كيسة والعربي اسمه عيسى بن الغريب الغري والقنّاش الكبير، وقد قَتل الإسباينون فور اقتحامهم للمدينة قرابة أربعة آلاف رجل، وبادر خيمينيس إلى تحويل مساجد المدينة إلى كنائس ومنها مسجد البيطار. الراشدي، المصدر السّابق، صص187-189؛ يحي بوعزيز، المرجع السّابق، صص41-42.

7 - انقسمت القبائل العربية في غرب المغرب الأوسط إلى قبائل متحالفة مع الاسبانيين وقبائل معاديّة لهم وقبائل رعيّة خضعت لنفوذهم بسبب ضَعفها. ----**فالقبائل الحليفة**:مثل الكثير من فُروع بني عامر الذين أصبحوا رعايا للاسبانيين فيما تحوّل بطن شافع العامري إلى جند للإسبانيّين، وكانوا قرابة عشرين دوارا وأولاد علي القبيل الذين ناهزوا سبعين، وكان أحد شيوخهم وهو رابح بن صولة يُكثر من شنّ الغارات ضدّ القبائل الخارجة عن طاعة الاسبانيين، وعلى نفس المِنْوال سار الونازرة وقيزة وأولاد عبد الله من بني عامر. وتعاونت قبائل حميان العربيّة والذين أطلق عليهم المشرفي " القبائل المتنصرة" مع الإسبانيّين، وقام شيخهم بجلب الماء إليهم بعد حصار الباشا إبراهيم لهم سنة (1050هـ/ 1641م)، وكانت هذه القبائل كما يقول المشرفي :((أهل نجدة وبأس شديد وقتال عنيد ورأي وتدبير وحيلة وتشمير فتقوّى بهم الاسبانيُّون بغاية التّمكين، واشتدّت شوكتهم على المسلمين واعتدّوا بهم وصاروا مشتدّين، وأكثروا من شنّ الغارات على الأقربين والأبعدين، فكانوا عيونهم الباصرة، وجنودَهم الهائلة

المكاثرة وإخوتهم النّصحاء وأحبّاؤهم النّجباء)) وبهذا النصّ نجدُ تصريحا من المشرفي عن إذعان هذه القبائل للإسبانيين. وتجلّى ولاءُ هؤلاء الشُّيوخ للإسبانيّين في بثّ الدّعاية لصالحهم ونقل الأخبار إليهم لذلك قال المشرفي عن هذا الصّنف من القبائل أنّهم :((صاروا شجى في حلق الدّين باحتكام، قذى في عيون الإسلام وحلاوة في قلوب الكفرة اللّئام)) . وقد صرّح الفقهاء بتكفير بطون بني عامر المتعاملة مع الإسبانيين ومن سار على دربهم كأبي العباس أحمد بن أبي محلي والحلفاوي وأيضا عند المشرفي صاحب كتاب بهجة الناظر.---وأمّا **القبائل المعاديّة:** كبيرة والبرجية ومجاهر وغيرهم من الذين لم يدخلوا تحت طاعة الاسبانيين*. وكان لهبرة حروبٌ عظيمة معهم حتّى فنيت أعداد كبيرة منهم. ---**بينما نجد القبائل الرعيّة:** وهي التي خضعت بسبب ضعفها ووقوعها ضمن مناطق نفوذ الإسبانيّين، كما هو الأمر بالنِّسبة لكثير من بطون بني عامر التي كانت فقط مقيمة في جوار الإسبانيين، وسبب عدم اتّخاذها موقفا ثوريا ضدّ الإسبانيين قد يكون راجعا إلى طبيعة المجال الجغرافي الذي كانت تقطنُه، والذي يتشكّل أغلبه من الأراضي المُنبسطة التي لم تسمح لهم بالاستفادة من الدّفاعات الجغرافيّة الحصينة. عبد القادر المشرفي ، ، بهجة النّاظر في أخبار الدّاخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق :محمّد بن عبد الكريم، بيروت: دار الحياة، 1972م، صص 26 -27 وص31 -36؛ الزياني، المصدر السّابق، ص146؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص146.

8 -الكرط : تقع في معسكر، وقد أشار الزياني إلى أنّ حاكم وهران الإسباني غزاها رفقة الصواولة وشيخهم رابح بن صولة العلياوي، فأثخن فيهم وقتل وأسر وسبى الرّجال والنّساء. الزياني، المصدر السّابق، ص189.---9 - سيرات: بلدية من بلديات مستغانم، وهي حاليا تابعة لدائرة بوقيراط وتقع غرب مستغانم، أمّا أرض ملاتة فهي المنطقة الممتدّة بين تموشنت وسيدي بلعباس. أمّا تليلة فيقصد بها تليلات وهي إحدى دوائر مدينة وهران وتقع جنوب وهران وشمال معسكر أمّا ولباطة فهو تحريف منه لكلمة البطحاء وهو ما يؤكده نص الراشدي والبطحاء حاليا هي المطمر بغليزان. يراجع: الراشدي، المصدر السّابق، ص.456

10- في سنة 926هـ/1516م دخل الأخوين عروج وخير الدّين إلى مدينة الجزائر تلبية لنداء أعيانها وعلى رأسهم الشيخ سالم التومي، ليكون هذا الحدث نقطة تحوّل في تاريخ المغرب الأوسط وبداية ظهور الدّولة الجزائرية التي أذعنت لسلطة العثمانيّين.ابن رقيّة، المصدر السّابق، ص4؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص174.---11- المؤلّف يُظهر من خلال هذا الكلام تعصّبه ضدّ العثمانيّين، ويبدو أنّ هذا الحكم قد كان شائعا في أواخر العهد العثماني بسبب كثرة المظالم التي قام بها البابات وقبائل المخزن ضدّ القرى والمداشر والزوايا والمدن بسبب المطالب المخزنيّة ومخاوف العثمانيّين من ثورات السكّان.

12- في سنة 1517م وفد على عروج وفد من أعيان تلمسان، يطلبون منه مساعدتهم من أجل الإطاحة بأبي حمو الثالث الذي جلس على عرش تلمسان بإعانة من ملك إسبانيا، بعد أن قام بعزل وسجن أبي زيّان الوريث الشرعي. أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص186؛ يحيى بوعزيز، المرجع السّابق، صص41-42.---13- قال في الرِّحْلة القمريّة: ((بعث أخاه أوروج(عروج) رايس لمحروسة تلمسان فاستولى عليها بعد أن قتل سبعا من سلاطينها ونحو السّبعين من أكابر بني عبد الوادي وما ينيف عن الآلاف من كبارها واقتحم البلاد)، ابن زرفة، المصدر السّابق، ص224.---14- أسند عروج مهمّة حراسة قلعة بني راشد إلى أخيه إسحاق، فقطع إسحاق الميرة عن الإسبانيين، وهو ما جعل الأعراب وأنصار أبي حمّو والإسبانيين يتّحدون ضدّ المجاهدين الأتراك، وهو ما أسفر عن استشهاد الأخوين عروج واسحاق وعدد كبير من الجنود، لتعود تلمسان إلى التبعيّة للإسبان. ينظر: أظنّ أنّ المكان الذي التجأ إليه عرّوج هو جبل بني يزناسن وهو جبل مطلّ على مدينة وجدة المغربيّة وكانت به زاوية سيدي موسى، فلعل هذا الجبل كان يُعرف باسم زاويته أيضا فقد قال الزياني: ((وبعث عروجا لتلمسان خليفة عنه إلى أن كثُر فساده فقام عليه أهل تلمسان وفرّ إلى بني يزناسن فمات هناك)). الزياني، المصدر السّابق، ص242؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، صص191-192. ---15- ليس هو ثاني باشوات الجزائر، واسمه صالح باشا وذكر الزياني أنه تولى سنة 966هـ وبقي في الملك أربع سنين، ثم ذكر تاريخا آخر عن صاحب الزهرة النائرة وابن حمادوش وهو سنة 959هـ، وهو الذي قام بتحرير بجاية يوم الأربعاء سابع وعشرين شوال 968هـ بعد حصار دام سبعة عشر يوما وعند ابن المفتي أنه تولى سنة 959(1551م) وفتح بجاية سنة 962هـ(1554م). يُنظر: الزياني، المصدر السّابق، ص244؛ ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع : فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة: الجزائر، 2009م، ص.40

16-يقصد مارمول كربخال، صاحب كتاب إفريقيا، وهذا أحد الأدلّة التي تؤكّد ترجمة المؤلف لنص جورجيوس، لأنّ كتابات الرّحالة الإسبانيين وتقارير السفراء والجواسيس الأوربيين حول المدن الجزائرية لم تكن معروفة قبل الاحتلال الفرنسي لدى المؤرخين والمثقفين الجزائريين. ---17- في جوان 1556م زحف صالح رايس بسفنه إلى تامنتفوست لينتظر وصول الأسطول

العثماني، من أجل تحرير مدينة وهران والمسرى الكبير، لكنّه توفي على إثر الوباء ، فاختار الأنكشاريُّون بالإجماع حسن قورصو الذي كان قائدا عمّا للجيش، وهو أحد عبيد صالح رايس، وأصله من كورسيكا، فسار إلى وهران من أجل تحريرها، لكن العلج علي جاء بأمر من السُّلطان العثماني يأمر بالانسحاب من وهران، فعاد حسن قورصو إلى الجَزائر إلى سبتمبر 1556م، لكنَّ الأمر جاء بتولية الباشا محمد تكرلي الذي وصل من طرابلس، فرفض الانكشارية باشويته، لذلك شرع في تصفية خصومه وقام بقتل حسن قورصو. يُنظر: صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، الجزائر خلال الحكم التري، ط1، قسنطينة، دار الأمعية للنشر والتوزيع: قسنطينة، 2012م، صص124-128. ---18- يرى صالح عبّاد أن الغرض من الأمر برفع الحصار عن وهران، هو خوف اسطمبول من تزايد نفوذ الانكشارية بالجزائر، وانفصالهم عن الخلافة العثمانية. صالح عباد، المرجع السّابق، ص.126

19- تولى حسن بن خير الدّين للمرة الثانية سنة 964هـ/1556م. ابن المفتي، المصدر السّابق، ص40.---20- المُوافق لـ7ماي 1563م.---21- في 5فيفري 1563 خرج حسن باشا من الجزائر على رأس جيش ضخم، مجهّز أتمّ التّجهيز، وحاول تحرير وهرانم، فهجم على المرسى الكبير بعد أن استولوا على قلعة القدّيسين، لكنّ محاولاتهم باءت بالفشل، ليُنهي حسن بن خير الدين حصاره بعد أن تكبّدت قوّاته خسائر كبيرة، على إثر وصول أسطول إسباني يوم 8جوان تحت قيادة أندري دوريا. صالح عباد، المرجع السّابق، ص136. ---22- قاد إبراهيم خوجة حملةً إلى وهران في 22جانفي 1688، لكنّ الإمدادات الإسبانية سُرْعان ما وصلت إلى المدينة فرُفع الحصار. وقد قال أحمد بن سحنون الرّاشدي عن ذلك:((فقد غزاها إبراهيم خوجة ورماها مكن جبل المائدة فلم تَدُر بين يديه من الفتح مائدة)). الراشدي، المصدر السّابق، ص198؛ صالح عباد، المرجع السّابق، ص227.---23- لفعة هو تحريف لكلمة الأفعى فتمّ حذف الألف والبدء باللّام مع تسهيلها وإبدال التّاء بألف مقصورة.---24- تولى الباي شعبان الزناقي عام 1679م، ودامت فترة حكمه مدة ثماني سنوات، وقد قاد حملة كبيرة حشد فيها ثلاثة آلاف رجل ، وقّر لهم ما يلزم من العدّة والذخيرة، وقصد مدينة وهران، لكنّه استشهد بعد أن أصابه أحد رماة بني عامر الموالين للاسبان بسهم. أمّا الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي فتولى بعد الباي شعبان من سنة 1686 إلى غاية 1733م، وتمكّن من تحرير وهران للمرّة الأولى سنة يوم 20 جانفي 1708م(26 شوال 1119ه) ثمّ قام بفتح المرسى الكبير في 16 أبريل 1708م. الجامعي، المصدر السّابق، صص96-135؛ محمّد بن ميمون، التحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحميّة، تحقيق، محمذ بن عبد الكريم، الجزائر، 1972م، صص203-264؛ يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، صص52-55----25-نص كلام عبد الرحمن ابن زيد الجامعي((ومن اشهر غزواته هذه التي استطردها الناظم وكانت سنة ثمانية وتسعين وألف وبها استشهد رحمة الله عليه وقد أبدى لك اليوم ..وأظهر من الشجاعة ما يقصر عنه عنترى ابن شدّاد)). المصدر السابق، ص114.---26- فرقة الصبايحية هي فرقة الخيّالة التي تتلقّى أوامرها من الأغا رئيس الجيوش البريّة.---27- المصدر نفسه، صص114-115.---28- هي مدينة جزائرية يعود تأسيسها إلى القرن السابع للهجرة الثالث عشر للميلادج، شيّدت من قبل شيوخ مغراوة، وصارت قاعدة لهم، وخلال العهد العثماني ومنذ سنة 1565م صارت مازونة قاعدة بايلك الغرب من الجهة الشرقية بينما تلمسان شكلت قاعدة لهذا البايلك من النواحي الغربية إلى غاية 1706م حين تمّ توحيد القسمين وصارت قلعة بني راشد عاصمة له. يحي بوعزيز، المرجع السّابق، ص46.---29- يقْصُدُ بُرج ابن زهوة.---30- المُوافق لـ22 ذي الحجّة 1144هـ.---31- كانت الحملة بقيادة الدوق مونتيمار ، ونزل الإسبانيون بعين الترك ، في 28 جوان 1732م. أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص478.---32- مدريد عاصمة إسبانيا إلى اليوم.---33- قصدُه: إزداد عددُ ما شيّدوه من الأبراج والحُصون.---34- كلمة غير واضحة تتكوّن من حوالي أربعة حُروف.----35- قال يحي بوعزيز: هل هو اسم لرجل زناتي، أو للرجل الاسباني الذي أشرف على بناء الحصن، أو للشيخ الحمياني الذي ساعد الاسبان على بنائه، وقد تمّ بناء هذا البرج وهذه القلعة الضّخمة عام 1567م. المزاري، المصدر السّابق، ج2ص60.---36- سان قروقري، الرّاشدي، ص208.---37- ويسمى برج اليهودي أسسه الاسبان عام 1509م. بوعزيز، المرجع السّابق، ص88.---38- سماه الراشدي لابونتا لامونا الرّاشدي، ص280.---39- سانتي آقو أو القديس يعقوب.---40- لا كانيانا. المصدر نفسه، ص280.---41- سان بيزرو، المصدر نفسه، ص280.---42- لا ورديا دي اليونس. الرّاشدي، ص208.---43- كوندكت. المصدر نفسه، ص208.---44- سماه الراشدي لالينا. المصدر نفسه، ص208.---45- روساكسا. المصدر نفسه، ص208.---46- بالوارتي. المصدر نفسه، ص208.---47- سمّاه الراشدي سان خوسيف. المصدر نفسه، ص208.---48- سانتنانا. المصدر نفسه، ص208.---49-سان أندريس.الراشدي، ص208.---50- ربما يقصد سان فرناندو. المصدر نفسه، ص208.---51- قال عنه الراشدي: ((وهو مفتاح البلد وقفلها))ن المصدر السّابق، ص207.---52- سان كارلو. المصدر السّابق، ص208.----53- مقابل لبرج العيون ويسمى بأبي بنيقة وهو مطل على الوادي. المصدر

السّابق، ص207.---54- طورى قوردى.الراشدي، المصدر نفسه، ص209.---55- أبو الحسن علي بن عثمان الملقب بالمنصور, ولد سنة 697هـ/1298م, ولي سنة 731هـ/1331م, وتوفي سنة 752هـ/1351م, بعد ويعتبر من ملوك بني مرين الأقوياء, حيث فتح المغرب الأوسط وتونس, وقضى على الدولتين الزيانية والحفصية, ثم انهزم بالقيروان, ونازعه أبنه أبو عنان الملك, إلى أن أذعن أبو الحسن وبايع ابنه, وتوفي بعدها قليلا إثر مرض ألم به. إبراهيم حركات, المرجع السّابق، ج2صص36-43.---56- تمّ طردهم في أبريل 1669م من طرف الحاكم ماركيز ديل لوس فيليز. صالح عباد، المرجع السّابق، ص235.---57- الراشدي، المصدر السّابق، ص218.----58- في الثغر الجماني، جاويشه.---59- يعني أنّ النّاس بدأوا في الاستدلال بخواص الحروف على قرب فتح مدينة وهران، وعلم الحروف وأسرارها من العلوم التي اشتغل بها النّاس بعد ذيوع التصّوف واستحكام الخرافة في عقول النّاس.---- 60- هو صهر الباي محمّد الكبير، وكان الباي يحبّه ويقدّمه في شتّى أموره، وأثنى عليه الرّاشدي كثيرا، وذكر فضله وعلمه وزواجه بابنة الباي. المصدر السّابق، ص223.---61- بنو زروال أصلهم من صنهاجة كانوا بجبل سريف المتصل بجبال غمارة ويبدوا أنّهم استقرّوا في مرتفعات الظّهرة بمستغانم حيث عُرفت خلال العهد العُثماني بأغاليك بني زروال. ابن خلدون، 275/6.---62- سلاح متفجّر.---63- يُشير المؤلّف إلى كثرة المتطوّعين غير العارفين بفنون القتال والمدفوعين بحماسة شديدة دون معرفة ودراية بشؤون الحرب.---64- أي: مخزون البارود كان قليلا.---65- هو اختصار لقولنا: "مقاتل في من سبيل الله"، وهو هنا الفدائي أو المرابط.---66- هو الشيخ السيّد محمّد بن علي الشّارف المازوني، وقد قدم هو وولده الشيخ هني وأخوه محمّد في نحو مائتي طالب. الراشدي، المصدر السّابق، صص241-242.---67- يقصد عائلات.---68- انتهج الباي محمّد الكبير هذه السياسة حتى يعمّر السّهل المقابل لمدينة وهران من الناحية الجنوبية الغربية، وقد اتّصلت الخيام من سيدي معروف التّابعة حاليا لبدية سيدي الشّحمي إلى البريدية التّابعة حاليا لبلدية بوتليليس، وهو ما ساهم في تشديد الحصار على الحامية الإسبانية.

69-أبو عبد الله السيّد محمّد بن الموفّق بن محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن محمّد المشهور بأبي جلال، رحل إلى فاس وتعلّم بها، وعاد إلى بلده وبعدها سافر نحو الحجاز ولقي علماءها ثمّ عاد إلى معسكر. أما الطاهر بن حواء فكان قاضيا بمعسكر، وكان شيخا جليلا واستشهد في إحدى معارك الطّلبة ضدّ الإسبان وهران. الراشدي، المصدر السّابق، صص235-247.

70- مسرقين أو مسرغين هي بلدية تابعة لدائرة بوتليليس، وبها وقعت معركة مسرغين ضدّ الإسبان في 06-06-1507م، والتي تكبّد فيها الإسبان خسائر فادحة. ومسرغين قد يكون إسم لقبيلة بني سرغين من بني توجين الزناتيّة. ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6ص20. ---71- (كلمة غير واضحة بقدر أربع حروف).---72- قصده غابات العمالة.---73- الذين يقومون باستخراج البارود وتصميمه.---74- وتكتب فيجيج أو فيكيك وهي مجموعة من القرى (القصور) التي تقع جنوب وجدة بحوالي 360 كلم، حيث استقرّت فروع معقلية وبعض الفرق البربرية. محمّد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديّين، منشورات دار المغرب للتأليف والنشر، دار فضالة: الرباط، 1978، ج2صص510-511.---75- الطّبجيّة هم المتخصّصون في المدفعيّة.

76- ذكر عقبة بن خدّة محمّد بن الأمير عبد القادر أثناء حديثه عن المارشال بيجو، ويبدو أنّها تقع بواد الحمام بمعسكر. حيثُ يوجد هناك أولاد بن خدّة.---77- كلمة غير واضحة تتكون من ثلاثة حروف.---78- هي بلدية الكرمة التي كانت تُسمّى بكرمة مسولان.---79- عند الراشدي سبعة وثلاثين رمانة. المصدر نفسه، ص290.---80- ذكر الشروط يحيى بوعزيز. المرجع، ص.63

81- هي إحدى فروع مغرواة وكان لها نفوذ في منطقة وادي جر بمتيجة الغربية أي في المساحة الممتدة بين العفرون وبومدفع .

82- فراغ قدر خمسة حروف.---83- في المخطوط: كانوا كان مع شطب كلمة كانوا. ---84- تولى سنة 1205هـ . الزياني، المصدر السّابق، ص247.---85- غير مفهومة قدر خمسة حروف.---86- بني في سنة 1797م يقع على الضفة اليمنى لوادي الرحى عند شارع عمر بوتخيل (شارع فيليب سابقا) قبالة قصر الباي، وتمّ الانتهاء منه سنة 1210هـ/1796م. المنجزات المعمارية للباي محمد الكبير في مدينة وهران. الزياني، المصدر السّابق، ص216.---87-ربما يقصد جامع محمد بن عثمان الكبير الذي أنشئ على يسارضفة وادي الرحى بنهج النابلسي حاليا. علي بوتشيشة، المنجزات المعمارية للباي محمّد الكبير في مدينة وهران، عصور الجديدة، العدد 7-8، 1433-1434هـ،/2012-2013م، صص214-231، ص221.